الفصل الثالث

العلاقة بين الروح والجسد

إن العلاقة بين الروح والجسد تُعتبر معضلة العلم الحديث ، وذلك لأن الروح - مجازاً - أو النفس هى ذاتها صاحبة المعضلة ، لأنها مما لا يمكن للإنسان أن يدركه عن طريق الحواس ، التى هى سبيل معرفته .

قال تعالى : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ (١) .

ولا شك أن العلاقة بين الروح والجسد تنبنى على أساس مفهوم الروح ، وللإختلاف فى هذا المفهوم تم الاختلاف فى إيضاح العلاقة ، فهناك من يُنكر وجود الروح الباقية بعد الموت ، وأن الإنسان لا يزيد عن تفاعلاته الكيميائية والكهربائية داخل جسمه ، وعلى أساس هذا التفاعل يكون ما يتمتع به الإنسان من حالات نفسية ، وعمليات عقلية (٢) ، ومن هنا نجد أن من علماء الفسيولوچى من يُسمى الغُدَد الصمّاء بُغَدد المصير (٣) ، وكأنها كل شىء فى الإنسان ، ومن هؤلاء من يقول بالتطور التلقائى المحض (٤) كما سبق .

---

(١) الإسراء : ٨٥

(٢) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد . دار النهضة العربية ببيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٠

د . جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط ٢ ، ص ٦٨

(٣) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣٠

(٤) لهنتر ميد : الفلسفة ، أنواعها ومشكلاتها (مرجع سابق) ص ١٠٥

عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٨

وهذا القول كقول بعض الفلاسفة - القدماء والمحدَثين - بأن الروح عَرَض من أعراض الجسم ، وأنها تفنى بفنائه [١] ، ويمكن أن يُقال بأن ذلك امتداد عصرى لهذه النظرة ، لأن هؤلاء لم يكن لديهم دراسة تشريحية للجسد ، ومعرفة بأسراره بقدر المعرفة المعاصرة ، بفضل تطور الوسائل العلمية الحديثة .

كما أن الكثير من العلماء - قديماً وحديثاً - يؤمنون بوجود الروح ، وأنه يرجع إليه ما يتمتع به الإنسان من حالات نفسية وعمليات عقلية ، وذلك لأن هذه الحالات والعمليات ليست من طبيعة المادة ، فالمادة لا تعى ولا يمكن أن يكون منها وعى ، ولا بد أن يكون هنالك عنصر آخر روحى تعود إليه هذه الحالات والعمليات كما يقرون بأنهم لم يصلوا إلى معرفته ، بل واستحالة ذلك لأنه ليس مما تقع عليه الحواس [٢] .

ومن هنا نجد للعلماء فى العصر الحاضر الكثير من الفرضيات ، فى محاولة لتفسير العلاقة بين الروح والجسد ، ولعل أهمها :

(أ) فرضية التفاعل العلّى المتبادل :

فالنفس تؤثر فى الجسم ، كما أن الجسم يؤثر فى النفس ، تأثيراً علّياً مزدوجاً (فالحالات النفسية ، والعمليات العقلية ، تؤدى إلى إحداث تغيرات معينة فى الجسم ، كما أن بعض التغيرات الفسيولوجية فى الجسم تكون علة لأحداث حالاتنا النفسية ، وعملياتنا العقلية ، ومن أمثلة تأثير النفس فى الجسم أن الإحساس بالجوع يؤدى إلى تقلصات المعدة ، فالبحث عن الطعام ، وأن انفعال الخوف والغضب يصحبه مزيد من إفراز العَرَق ، وارتعاش عضلات وأطراف ، ونشاط مفاجىء فى خلايا المخ ، والتفكير قد يصحبه سرعة نبض القلب ،

---

(١) سهير فضل الله أبو وافية : الفلسفة الإنسانية فى الإسلام (مرجع سابق) ص ٦١

(٢) فيشته : غاية الإنسان ، دراسة وترجمة د . فوقية حسين محمود ، الشركة العامة للتجهيز والتوزيع ، فاس ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م ، ص ١٨٤ ، ١٨٥

د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ١٩

وإرادة فعلٍ ما يصبحه توتر عضلى معين ، واستعداد لتنفيذ ذلك الفعل ونحو ذلك ، ومن أمثلة تأثير الجسم على حالاتنا النفسية ، أن احتراق أُصبع قد ينشأ عنه إحساس بألم » [١] .

وإن نقطة الالتقاء بين الروح والجسد هى الغُدَّة الصنوبرية ، التى يتم عن طريقها التفاعل المتبادل ، بخلاف ابن سينا الذى جعل نقطة الالتقاء بين الروح والجسد فى القلب [٢] .

وإن علماء وظائف الأعضاء يُجمعون على أنه إذا كان هنالك فى المخ مكان يُفترض علاقته بحالاتنا النفسية ، وعملياتنا العقلية فهو اللِّحاء ، فهو أكثر أجزاء الجسم تعقيداً فى التركيب والوظائف ، وإن بعض الحوادث الفسيولوجية التى تصدر فى اللِّحاء مرتبطة بالحالات الشعورية ؛ ولكنهم يجهلون الظروف المحدِّدة التى تنشأ منها الحالات الشعورية ، ويعلنون أنه من المستحيل تصور الطريقة التى يعمل بها الجهاز العصبى ككل [٣] .

ومن هنا نجد مدى الصعوبة فى تفسير العلاقة بين الروح والجسد ، مما دفع ديكارت [٤] وهو إمام هذه الفرضية إلى أن يصفها بأنها مجرد محاولة ، وأن لا يطالب بتفسير مقنع لما يستحيل على العقل البشرى إدراكه [٥] .

---

(١) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٤ - ١٨٥

(٢) إبراهيم مدكور : فى الفلسفة الإسلامية . ط ١ ، القاهرة ، ص ٢١٥ - ٢١٩
محمود قاسم : فى النفس والعقل . مكتبة الانجلو بالقاهرة ، ط ٤ ، ص ٩٢
د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٦

(٣) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٧

(٤) رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) فيلسوف ، وفيزيائى ورياضى فرنسى ، اكتشف الهندسة التحليلية ، ويعتبر فى رأى الكثير من الباحثين الغربيين أباً للفلسفة الحديثة ، وهو صاحب الكلمة المشهور : « أنا أشك ، فإذن أنا أفكر ، وأنا أفكر فإذن أنا موجود »
منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٣ ص ١٨٠

(٥) محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٦

(ب) فرضية الأصل والفرع :

وهى تختلف عن الفرضية السابقة فى أن التأثير العلّى من جانب واحد ، وهو الجسم على الحالات النفسية ، والعمليات العقلية فليس لهذه الحالات والعمليات أى تأثير على الجسم ، إذ ليس فى مقدورها أن تكون علة لأى علة فسيولوچية فى المخ [١] .

و « يتفق النقاد مع أنصار هذه الفرضية فى أن الحالات النفسية والعمليات العقلية فى الإنسان مختلفة فى طبيعتها ، وخصائصها ، عن حالات البدن ، وحوادثه الفسيولوچية ، ومن ثَمَّ يعلن النقاد بأننا لا نفهم كيف ينشأ عن الجسم شىء مختلف فى طبيعته عن الطبيعة المادية ، كما أننا لا نفهم أن تكون حالات الجسم علة لأحداث حالات النفس»[٢] .

(جـ) فرضية الموازاة :

وهذه الفرضية ترى أن بين الحالات النفسية ، والعمليات العقلية من جهة ، والتغيرات الفسيولوچية من جهة أُخرى ارتباطاً ومصاحبة وتلازماً فى الحدوث ، لكن لا توجد بينهما علاقة علّية ، وأن اللّه تعالى هو علة هذه الموازاة الدقيقة ، وأصحاب هذه الفرضية يأخذون بها كحل مؤقت ، إلى أن يُقدِّم علماء الطبيعة والنفس جديداً يُساعد على فهم العلاقة [٣] .

(د) الفرضية الذاتية :

وهى تُسوِّى بين العقل والمخ ، وأن الإنسان جسم وعقل ، وأن كل ما نسميه

---

(١) جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٦٨
د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٩
(٢) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٩١
(٣) المرجع السابق ص ١٩١
جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧ .
رينيه ديكارت : تأملات ميتافيزيقية فى الفلسفة الأولى ، ترجمة د . كمال الحاج . منشورات عويدات ، ط ٣ ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٧٦

حالات نفسية وعقلية ليست إلا تغيرات تصدر عن المخ ، فالعقل هو المخ ، وليس شيئاً غريباً عن الجسم [١] .

و « يعتمدون فى فرضهم على معطيات علم وظائف الأعضاء ، ويأملون أن تأتى نتائج البحث الفسيولوچى فى المستقبل بتأكيد الفرض ، ويُعلنون أن هذه الفرضية برفضها النفس جوهراً لم يعد هناك مبرر للسؤال عن العلاقة بين النفس والجسم ... » [٢] .

وإن علماء وظائف الأعضاء الذين يعتمد عليهم أصحاب الفرضية يعارضونهم فى موقفهم - كما سيأتى - أضف إلى ذلك أنك إذا قلتَ عن العقل والمخ أنهما شىء واحد لزم أن تحدث الحالات النفسية والفسيولوچية فى زمن واحد ، وفى مكان واحد ، لكن لا مكان للحالات النفسية ، ولا يمكن رصد زمن الحالات النفسية رصداً تجريبياً ، حيث لا يعيها إلا صاحبها [٣] بالإضافة إلى أن الفرضية تنظر إلى الإنسان نظرة مادية بحتة .

(هـ) الفرضية السلوكية الفلسفية :

وهى ترى أن الإنسان جسم وعقل ، وأن العقل ما هو إلا مجموعة قدراتنا على السلوك فى البيئة الخارجية ، أو الاستعداد له متى كانت الظروف المناسبة، ولكن ما يمكن أن يلاحظه أى إنسان ، أن السلوك أقل بكثير مما يحس به عن طريق الاستبطان من حالات شعورية [٤] .

وقد سبق وأن قلنا بأن مفعول الغُدَد ، والمواد الكيميائية أو العقاقير ، داخل جسم الإنسان لا ينكر أحد أثره ، وأنه قد يكون الإنسان العصبى المزاج ،

---

(١) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٩٦

(٢) الموجع السابق ص ١٩٦ (٣) المرجع السابق ص ١٩٦ - ١٩٧ بتصرف

(٤) المرجع السابق ص ١٩٧

جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٠ - ٧٢

والمنفعل والمضطرب نفسياً اضطراباً حاداً هادئاً لين المزاج والطبع بإعطائه جرعة من دواء [١] .

فهل ذلك يعود إلى النفس أم إلى الجسم ، لاشك أن مفعول هذه العقاقير يقع على الجسم ، وبالتالى على حالاته النفسية ، وعملياته العقلية ، فشأن هرمونات الغَدَد الصمّاء شأن العقاقير فى تأثيرها على الحالات النفسية والعمليات العقلية ، وكلها مادية حيث إن عناصرها من المادة [٢] .

كما أن للحالات النفسية والعقلية أثراً على الجسم ، فهناك ترابط بين بعض الأمراض النفسية والأمراض العضوية [٣] .

وإن تطور الوسائل العلمية التشخيصية الحسية المعاصرة جعل العلماء يخرجون بالكثير عن وظائف الأعضاء من جهة ، كما جعلهم من الناحية العلاجية على معرفة بخصائص التركيب الكيميائى لجسم الإنسان ، وأثرها عليه من جهة أُخرى .

وبالتالى فإننى أعتقد أن فلاسفة ما قبل العصر الحاضر قد فاتهم الكثير من ذلك ، ومن هنا سلّطوا الأضواء أكثر على النفس .

والإنسان إنما يدرك عن طريق الحواس ، ومن هنا كان الجسم هو موضع الإدراك ، وكان للعلم الحديث وتطوره أثر كبير فى تشخيصه ، ولكن مع ذلك فقد أدركت الحواس - أيضاً - وجود وظائف واعية مما لا يمكن أن يكون واعياً كما سبق [٤] .

---

(١) د . مصطفى يوسف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣١

(٢) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ٥٥ - ٦٠ .
د . فاخر عاقل : علم النفس ، دار العلم للملايين ، ط ٨ ، ١٩٨٢ م ، ص ٤١

(٣) د . عادل صادق : حكايات نفسية ، كتاب اليوم الطبى ، القاهرة - العدد ٢ ، جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ ، ص ١٢

(٤) انظر : رينيه ديكارت : تأملات ميتافيزيقية فى الفلسفة الأولى (مرجع سابق) ص ٨١ - ٨٢

فالنظرة الأفلاطونية التى تنظر إلى الروح على أنه جوهر مجرَّد عن المادة ، أزلى طاهر ، وأن الجسم سجن للروح ، مُعذِّب له ، وترى أنه يجب أن يكون هنالك عملية تطهير وإصفاء للروح [١] ، تدفع الإنسان إلى الاعتناء بالروح على حساب الجسم ، فيكون التعذيب له ، وعدم الاعتناء بحقوقه فى سبيل ما يُسمى بطلب الصفاء والنقاء فيكون هنالك التأثير السىء على الجسم ، والذى يؤدى إلى تأثيره على الإنسان نفسياً ، وعقلياً ، وجسمياً ، فهى تبخس الجسم حقه [٢] .

وإن النظرة المادية للإنسان ، ترى أنه لا يعدو أن يكون إلا جسماً مادياً ، وأن الحالات النفسية ، والعمليات العقلية ، ما هى إلا تفاعلات كيميائية وكهربائية داخل الجسم ، وأنه ينعدم بموته ، وليس هنالك روح باقية بعد الموت ، يرجع إليها ما يتصف به الإنسان من قيم وفضائل ومبادىء [٣] .

وهذه النظرة تُفقد الإنسان اتزانه بنظرته المادية للحياة ، فلا يرعى القيم والمبادىء والفضائل ، التى يتصف بها الإنسان حق رعايتها ، والتى يعود إليها الفضل فى إتزان وإثراء الحضارات الإنسانية ، وتجعل الإنسان يسعى إلى إشباع غرائزه الفطرية بطريقة مادية ، مما يكون له أثر فى تحويلها من منطق الاعتدال والصواب إلى منطق الشذوذ والسوء ، وبالتالى يكتسب الإنسان من الدوافع المكتسبة ما يكون له أثر كبير فى تعديل غرائزه الفطرية [٤] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يُولد على

---

(١) د . سهير فضل الله أبو وافية : الفلسفة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٦٩

(٢) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٢

محمد قطب : الإنسان بين المادية والاسلام ، ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) ، ص ٨١

(٣) د . محمود زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ٦٠ - ٦٣

(٤) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠٥

الفطرة ، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه ، أو يُمجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء » [١] .

ولا شك أن كُلاً من النظريتين الأفلاطونية والمادية تدعو إلى اهتزاز قُدرات وإمكانيات واستعدادات الإنسان المتزن ، لأن هنالك تأثيراً متبادَلاً بين الروح والجسد ، للإفراط أو التفريط فى جانب على حساب الجانب الآخر .

ولكن الإنسان فى الإسلام خلقه الله تعالى فى أحسن صورة ، بروحه وجسده [٢] ، فهو حسن الخَلق والخُلق ، وكخليفة لله فى أرضه فله شىء من صفاته تعالى للقيام بمهام الخلافة ، وليس الجسد لتعذيب الروح .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[٣].

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [٦] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ ، يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ ، قد غُفر له ما تَقدَّم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم : أما أنا فإنى أُصلِّى اللَّيل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ ، فقال : « أنتم ،

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين ، جـ ٢ ص ١٠٤

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٥

(٣) سورة ص : ٧٢ (٤) التين : ٤

(٥) الإسراء : ٧٠ (٦) المؤمنون : ١٤

الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم ، وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » (١) .

فإن الإنسان إنسان بروحه وجسده ، ومنهما تتكوّن الذات ، وإن للجسم مطالبه ، وللروح مطالبه ، وليست هذه المطالب منفصلة عن تلك المطالب ، وإنما يجب أن يكون إشباع هذه المطالب متوازنة فلا إفراط ولا تفريط ، وأنها متلازمة فى سمو الإنسان وتقهقرة نفسياً ، وعقلياً ، وجسمياً .

فالإنسان لم يُقصد فى خلقه أن يكون مَلكاً .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَىَّ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَنْ قَالُواْ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً * قُلْ لَوْ كَانَ فِى الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً ﴾ (٣) .

كما أنه لم يكن شيطاناً .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٥) .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : الترغيب بالنكاح ، جـ ٦ ص ١٨٦

(٢) الأنعام : ٥٠ (٣) الإسراء : ٩٤ - ٩٥

(٤) النساء : ٨٣ (٥) فصلت : ٣٦

فالله تعالى خلق الإنسان ذا قدرات وإمكانيات واستعدادات محدودة كالعلم، والإرادة ... ولذا فهو فى حاجة إلى من يملك الصفات بلا حدود فهو الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن سبحانه .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، الْحَىُّ الْقَيُّومُ ، لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ، لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ، مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِه إِلاَّ بِمَا شَاءَ ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا ، وَهُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، يُحْيِى وَيُمِيتُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ (٤) .

وإن الإنسان خُلق لعبادة الله ، وفى ذلك نلمس أن الله تعالى أراد أن يكون الإنسان فى حاجة إليه ، فكان التشريع وحاجة الإنسان إليه ، لما يتصف به من صفات هى من طبيعته (٥) .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٧) .

---

(١) البقرة : ٢٥٥ (٢) الحج : ٦٤

(٣) الحديد : ٢ - ٣ (٤) سورة الإخلاص .

(٥) السيد سابق : عناصر القوة فى الإسلام ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٢ م ، ص ٣٨

(٦) النساء : ٢٨ (٧) إبراهيم : ٣٤

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢) .

ولا يمكن للإنسان أن يخلص من صفات الضعف إلا بالتشريع الذى يكمل القصور ، لا التقصير ، والذى دونه يهتز الاتزان النفسى ، والعقلى ، والجسمى ، وبهذا التشريع - موضوع الابتلاء والامتحان - يتحقق للإنسان التسامى ، والصعود إلى الصفاء ، والنقاء .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ، وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ، فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (٤) .

فالإنسان ذو طبيعة مزدوجة ، ويمثل هذه الازدواجية حالاته النفسية ، وعملياته العقلية ، التى لا يمكن أن يكون لها اتزان إلا بالإيمان ، الذى يكون به استثمار هذه العمليات والحالات ، فيما يكون منها من تعقل ، وما يؤشر إليه القلب بالاطمئنان ، وإن مثل هذا الاتزان لا يحس به إلا المؤمن ، الذى راقب الله فى السراء قبل الضراء (٥) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٦) .

---

(١) الأحزاب : ٧٢ (٢) فاطر : ١٥

(٣) النساء : ١٢٥ (٤) الزمر : ١٧ - ١٨

(٥) محمد قطب : دراسات فى النفس الإنسانية ، دار الشروق ببيروت ، ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) ص ٤٢

سيد قطب : خصائص التطور الإسلامى ومقوماته ، دار الشروق ، ط ٦ ، ١٣٩٩هـ ، (١٩٧٩م) ص ٢٢٨ ، ٢٢٩

(٦) الرعد : ٢٨

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُواْ إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ، تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ (٣) .

عن وابصة بن معبد الأسدى : أن رسول الله ﷺ قال لوابصة : « جئتَ تسأل عن البر والإثم » ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فجمع أصابعه ، فضرب بها صدره ، وقال : « استفتِ نفسك ، استفتِ قلبك ، يا وابصة - ثلاثاً - البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » (٤) .

* * *

(١) الفتح : ٤ (٢) يونس : ٩ (٣) التغابن : ١١

(٤) رواه الدارمى فى كتاب البيوع ، باب : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، دار إحياء السنة النبوية ببيروت ، جـ ٢ ص ٢٤٥